وليست الكلمة العامية مرذولة – عنده – في كل حال ، بل يرى أن السياقَ قد يستدعي هذه الكلمةَ أكثر من غيرها ، ففي قول ابن نُباتة :

أقامَ قوام الدِّينِ زيغ قَناتِهِ وَأَنْضَجَ كَيَّ الجُرْحِ وَهُوَ فَطِيرُ

نجد كلمة (فطير) عامية مُبْتذَلَة ، ولكنها وقعت هنا موقعًا لو كانت فيه فصيحة هجنها وأذهب طلاوتها .

وعلى العكس من ذلك نجد في قول أبي الطيب :

خَلوقِيَّة في خَلوقِها سُوَيْداء مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ

وقول زهير بن أبي سُلْمى :

وأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالمنازِلِ مِنْ مِنى وَما سحقَتْ فيهِ المقادِمِ وَالقَمْلِ

فإن (عنب الثعلب) مما يترفَّع عن نظمه العَوام في الشعر ، وكلمة (القمل) مما يجري هذا المجرى [1] .

ويحاول ابنُ الأثير تدقيق الاستعمال بالنسبة للفظة العامية فيقسمها إلى قسمين :

الأول : ما كان من الألفاظ دالا على معنى وُضع في أصل اللغة ، فغيَّرته العامة وجعلته على معنى آخر . وهذا القسم منه ما يُكْرَه ذكره كقول أبي الطيب :

أذاقَ الغواني حسنه ما أذقنني وَعَفَّ فَجازاهُنَّ عَنّي بِالصرمِ

فإن معنى (الصرم) في وضع اللغة هو القطع ، فغيَّرتها العامة وجعلتها

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ، ص ٦٤ ، ٦٥ .